المبحث الرّابع
الجذع الإبراهيمي المشترك

مدخل:

يرتبط هذا الموضوع بالمقدّمات النظرية المتعلّقة بفلسفة وحدة الوجود ومشروع وحدة الأديان ، وما يقابلها من الرؤية التوحيدية للإسلام ، كامتداد للخطّ الرّسالي الواحد على مستوى الأصول الاعتقادية برغم اختلاف الشرائع ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [1]. فالأصول ثابتة لا تتغيّر ولا تتبدّل ولا تنسخ ، ولا يرد عليها التحريف ، إلاّ من اختار غير ذلك. أمّا محاولات التقريب والتّوفيق والبحث عن روابط مشتركة برغم أهمّيتها فإنّها تبقى محلّ نظر وتقدير ، الإجابة عنه مرتبط أساسا بالإجابة على مسألتين مهمّتين هما: تعريف ماهية هذا الحزب الإبراهيمي؟ وكيفية تكوين هذا التوجّه المشترك؟.

ومن خلال مراجعتنا لجذور هذه الدعوة والبحث في بعض المؤلّفات المتقدّمة ، نجد مشتركا بينها وبين دعوة وحدة الأديان ، إذ تلتقي معها في كيفية بسط سبل التعامل بين الأديان ، والاستفادة من مقدّرات البعض الآخر مع القبول بمبدأ التنازل ، وتنشيط قيمة التسامح. « ويعتبر جمال الدّين الأفغاني وميرزا باقر وبعض رجال الإنجليز المستقلّي الفكر ، وبيرزاده وعارف أبي ترابة وجمال بك نجل رامز بك التّركي قاضي بيروت ، من الذين سبقوا إلى تأسيس جمعية سياسية دينية

(١) سورة المائدة : ٤٨.

سرية ، موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة ، وإزالة الشقاق بين أهلها ، والتعاون على إزالة الضّغط على الشرقيّين ولا سيما المسلمين منهم ، وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطّرق »[1]. إلاّ أنّه لا يمكن الجزم بانقطاع حبل هذه الدّعوة لوجود بعض المحاولات الجانبية والتي تطفوا من حين إلى آخر ، ولكنّها لا تعتبر مشروعا قائما بذاته ، وفق برنامج متكامل ضمن مؤسّسات حقيقيّة.

أمّا من النّاحية الرّسمية والمؤسّسية ، فقد تأسّس في سنة ١٩٧٤ م بباريس معهد حوار الحضارات ، تحت رعاية منظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والعلوم والثقافة « اليونسكو UNESCO » ، والذي ترأسه الفيلسوف الفرنسي المسلم رجاء جارودي. وهو معهد أكاديمي يضمّ في عضويته أساسا أصحاب الديانات السماوية الثلاثة: اليهودية والنّصرانية والإسلام ، وله مشروع فلسفي واضح هدفه قيام تحالف ديني بين هذه المكوّنات على أساس الأصول الإبراهيمية. وهو جهد توفيقي يعتبر تتويجا لدراسات جارودي المطوّلة حول طبيعة المجتمع الغربي واطّلاعه المتواضع على الدّين الإسلامي. فعمل على إيجاد صيغة للالتقاء حول مائدة واحدة للنّظر في المشترك ، قصد التقريب بين أهل الملل الثلاثة ، مع تأكيده على ضرورة التنازل المتبادل. ومن أهداف هذا المعهد:

أ ـ كشف النقاب عن وجه الإسلام الحق المشرق وعن عقيدته ، وإسهاماته لتعزيز القيم الإنسانية في العالم .

ب ـ ذكرت المادّة الثّانية من القانون الأساسي: « تشجيع الأبحاث الرّامية إلى

(١) منار الإسلام ، عدد (٥) سنة ١٦ / ١٨ نوفمبر ١٩٩٠ ، ص ٨٤.

إظهار أهمية الإسهام الذي قدّمته الثقافات غير الغربية إلى الثقافات الجامعة ، وكذلك تشجيع اللّقاءات الرّوحية التي تتيح المجال بإجراء حوار بين الأشخاص ذوي الثقافة والإيمان ، الواعين أهمية ومستقبل جميع مركّبات السنّة الإبراهيمية « اليهودية والمسيحية والإسلامية » وجميع أشكال الرّوحانية والنّزعة الإنسانية ».

جـ ـ ويتبع لهذا المعهد « القلعة الحُرّة » بقرطبة ، وهي عبارة عن متحف لإبراز الإسهامات التّاريخية للدّولة الإسلاميّة بالأندلس ، وقد تنازل عنها عمدة قرطبة تسعة وأربعين عاما لفائدة هذا المشروع. ويهدف جارودي من خلال ذلك إلى إحياء جامعة قرطبة الإسلامية ومركز البحوث فيها ، لإثبات قدرة الإيمان والثقافة الإسلامية على إخراج المجتمعات المعاصرة من ضلالتها ، أي من الفردية الرأسمالية والشمولية السوفيتية.

إلى جانب ذلك قامت أنشطة حسب توجّهات المعهد ، منها ندوة حوار الوحدة الإبراهيمية بين اليهود والنصارى والمسلمين ، وهي لا تهدف إلى الخوض في الطروحات اللاّهوتية ومسائل العقيدة ، بل تحاول تحديد القواسم المشتركة بين معتنقي الإيمان الإبراهيمي ، وخاصّة ما يجب أن يفعلوه سويا ، كما عقد مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية بقرطبة في ١٢ – ١٥ فبراير ١٩٨٧ ، دعي له يهود ونصارى ومسلمون ، إلى جانب التيارات القاديانية والبهائية والإسماعيلية.

المشروع الإبراهيمي : الرؤية الإسلامية والتوجه العالمي :

أصبحت فكرة الإبراهيمية تتمتّع في الأوساط الإسلامية بحضور كبير على مستوى الاهتمامات والأنصار. فمن أبرز دعاتها المعاصرين: حسن عبد الله الترابي

وراشد الغنّوشي وحسن مكّي محمّد أحمد ، ويعتبر رجاء جارودي الأكثر تحرّكا في هذا الاتّجاه باعتباره الأب الرّوحي والمؤسّس لهذا التوجّه. هذا مع عدم استبعاد الخلفية السياسية والمرحلية التي تحرّك بعض رموز التيّار الإسلامي الحديث ، الملتزمين بالمرجعية الأصولية الإسلامية والمستوعبين لحركة التراث الفقهي الإسلامي. إلاّ أنّه عند مناقشة مثل هذه القضايا تبرز مسألة فقه الواقع الذي يحتجّ به بعض المفكرين الإسلاميين ، لإيجاد صفة مقبولة نحو المشاركة ولو بأقدار في هذا المشروع. أمّا عن جارودي فهو يلخّص جملة في مجموع كتاباته الصّادرة قبل إسلامه أو التي نشرت في فترات لاحقة ، والتي برغم التحوّل العقدي الذي عرفه المؤلّف ، فإنّها تحمل تشابها كبيرا حدّ التماثل في بعض المواقع خاصّة حول القضايا الكبرى.

فهو يرى: « أنّه قد حان الوقت لنعيش ضمن رؤية موحّدة للتّاريخ ، الذي كان إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ـ عليهم السّلام ـ يشكّلون فترات يقظة فيه ، وأن تلتقي بالإسلام كما فعل الأب « لولونج » عندما فكّر بتعاون مشترك مؤكّدا أنّه ربّما لم يكن الفصل بين مسيحيين ومسلمين وإنّما بين مؤمنين تقليديين في كلا الأمّتين ، متمسّكين بصياغة ثابتة لحقائق الوحي من جهة ، ومؤمنين باحثين همّهم قراءة الكتب المقدّسة والتّوفيق بينها وبين الحياة. بهذا فقط وبغضّ النّظر عن كافّة المنازعات التّاريخية والاختلافات العقائدية ، يمكن أن نتطرّق معا إلى المشكلة الحقيقية: الإيمان والسياسة ؛ لأنّ هذه هي المشكلة الحقيقية في عصرنا هذا »[1].

(١) أمينة الصّاوي وعبد العزيز شرف : جارودي والحضارة الإسلامية ص ٢٦٨.

وأنّ الإسلام كتتويج لذُرِّية إبراهيم ـ عليه السّلام ـ وقد دعى الإنسان من خلال اليهودية والنصرانية والإسلام إلى البحث عن غايته العليا وإلى تحقيقها ، يمكنه مرّة ثانية أن يبعث الأمل في مجتمعاتنا الغربية التي ضربتها الفردية وأضرّ بها النموذج الذي يسوق العالم كلّه إلى الانتحار ، ولن نستطيع القيام بهذه المهمّة إلاّ بشرط: هو أن لا ننسى أبدا أنّ الوفاء لدار الأجداد لا يكون بالحفاظ على رفاتهم وإنّما بتناقل المشعل من يد إلى يد[١] ، وقد أرسل الله تعالى الرّسل إلى كلّ الأمم يدعونهم إلى الله تعالى والملّة الأولى التي دعا إليها إبراهيم وموسى وعيسى »[٢].

وفي ندوة « اليونسكو » التي عقدت بباريس في فبراير ١٩٨٢ ، شارك جارودي بورقة تحت عنوان « هل يستطيع الإسلام الهيمنة على مستقبل الغرب »، طرح فيها فكرة إمكانية قراءة التّاريخ من وجهة نظر وحدويّة على أساس أنّ إبراهيم والمسيح ـ عليهما السّلام ـ ومحمّدا ﷺ يكمّل بعضهم بعضا ، ويوضّح مقصده بقوله: « هذا التكامل في نظري عبارة عن حلقات تاريخية ، فكلّ نبي أرسل في مرحلة تاريخية مهّد لمن جاء بعده ، وانتهت أصول هذه الديانات السماوية إلى الرّسالة الكاملة الخاتمة كما جاء بها محمّد ﷺ باعتبار أنّ الإسلام قد اكتمل بنزول القرآن الكريم ، وقد سمّي الأنبياء كلّهم مسلمين.

وبالنّسبة للإسلام فهو الدّين الوحيد الذي يعترف بالأديان السّابقة ، ويعتبر إبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ كلّهم أنبياء مسلمين . رسول

---

(١) معالي عبد الحميد حمودة : عرض وتلخيص كتاب في مقال « الإسلام وأزمة الغرب » : مجلّة الأمّة، العدد (٥٤) السنة الخامسة ، جمادى الآخرة ١٤٠٥ ـ آذار / مارس ١٩٨٥م ص ٦٣.

(٢) أسرة تحرير الأمّة (حوار): الفيلسوف العالمي رجاء جارودي يعتنق الإسلام، مجلّة الأمّة، العدد ٢٩ ، السنة الثالثة، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ شباط / فبراير ١٩٨٣م ص ٦٩.

الله محمّد ﷺ كما جاء في القرآن الكريم لم يقل في الأحاديث الشريفة أنّه جاء بعقيدة جديدة ، ولكنّه أوضح أنّه جاء ليذكّر بملّة أبينا إبراهيم ، كما بيّن أنّ تعاليم هؤلاء الأنبياء المسلمين من قبله قد حُرِّفت ، وأنّ التّحريف بدأ من أيّام اليهودية. وقد تضمّن كتابي « ملفّ إسرائيل » معلومات تاريخية موثّقة تفيد بأنّ التّحريف قد بدأ بعد العودة من بابل ، أمّا بالنّسبة للنّصرانية فإنّ التّحريف بدأ بإعلان « نيقية » الذي حرّروه سنة ٣٢٥ للميلاد ، وتضمّن فكرة أنّ المسيح ابن الله ، وبالنّسبة للكاثوليك أو الأورثوذكس أو البروتستانت ، فكلّهم يؤمنون بإعلان « نيقية » وفكرة أنّ المسيح ابن الله ، التي لم ترد في الإنجيل ولكن وُضعت وضعا ؛ ولذلك فأنا أؤمن بأنّ محمّدا ﷺ قد جاء بالملّة الأولى « ملّة إبراهيم » ، وهو أكثر صور العقيدة تكاملا ، فاليهود يكفرون بالمسيح ــ عليه السّلام ــ ويكفرون بمحمّد ﷺ ، والنصارى بدورهم يكفرون به ، ومحمّد ﷺ يؤمن بإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام »[1].

وفي بعض من كتبه يؤكّد جارودي على أهداف الحوار ، الذي يسعى حسب رأيه إلى « اكتشاف مشترك للقيم المطلقة التي يمكنها وحدها في المرحلة الرّاهنة أن تسمح لنا بالتفلّت من الأدغال الانتحارية ، من غابات الفرديات والقوميات ومن عصبيات المعتقدات أو الحزبيات ، لكن لن يكون هناك حوار حقيقي ما لم يقتنع كلّ منّا بأنّ عليه أن يتعلّم شيئا ما من الآخر ، وبالتالي ما لم يكن مستعدّا لإعادة النّظر في معتقداته الخاصّة به ، في هذا المستوى لا يكون الحوار ندوة للمتخصّصين في تاريخ الأديان المقارنة ولا حتّى لقاء بين لاهوتيّين من مذاهب

(١) نفس المصدر السّابق : ص ٧٠.

مختلفة ، إنّه اجتماع أصحاب دين يتقبّلون الفرضية والمخاطرة الحيوية القائلة : إنّ عقيدة الآخرين يمكنها إغناء عقيدتهم الخاصّة ، وتجعلهم يكتشفون في ذواتهم أبعادا تكون مغيّبة أحيانا ، وهذا يفترض السعي إلى فهم الآخرين ، ليس كموضوع معرفة خارجي بل داخل ذاته ، عندما يجعل المرء من ذاته مسألة ، نظرا لأنّ الإيمان هو من نوع الأسئلة لا من نوع الأجوبة :

ـ فهل تجري كلّ الأديان وكلّ أشكال الحكمة نحو هدف واحد؟

ـ هل يمكن التفكير بمعزل عن مقارباتها للمطلق؟

ـ هل يمكن أن نحياها معا؟ »[1].

نقد وتقويم :

لئن حظيت دعوة جارودي باهتمام قطاع معتبر من المفكّرين الإسلاميّين والغربيين على حدّ سواء ، فإنّها واجهت انتقادات كبيرة ومحاولات لمحاصرتها خاصّة من علماء الأزهر ، وكثير من الرّافضين لهذا المشروع ممّن شارك في الملتقى الإسلامي بالجزائر. ومن هذه الانتقادات التي لهذه الدعوة :

أ ـ أنّ هذه المبادرة لا تحقّق أهداف شرعيّة مقبولة نسبة للخلط الفكري الذي طبعها. فهي مثلا تحقّق أهداف أهل الكتاب بصفة غير منتظرة ، أقلّها مساواة أديانهم المحرّفة بالإسلام ، وإقرار المسلم بها ، وفي المقابل نجد عدم اعترافهم بنبوّة محمّد ﷺ الصحيحة ؛ لذلك لا تعدو هذه الدّعوة أن تكون محاولة من الكنيسة

(١) رجاء جارودي : الأصوليات المعاصرة، أسبابها ومظاهرها ، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار عام ألفين باريس، طبعة ١ / ١٩٩٢، ص ١٣٦. وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذا الكتاب قد كتب سنة ١٩٩٠ أي بعد سنوات من إسلام جارودي ؛ لذلك سنلاحظ في مرحلة النّقد تماثلا بين آرائه القديمة والجديدة.

للحصول على اعترافات صريحة بالنّصرانية وبعقيدتهم في السيّد المسيح في غير مقابل مماثل. بل من سلبيات هذه الاعترافات أنّها تقدّم للنصارى والغربيّين مبرّرا لإثنائهم عن الدّخول في الإسلام بدعوى أنّه لا توجد بين الإسلام والنّصرانية فوارق أساسية ، وهذه بدعة شديدة الخطورة إذ إنّ مفهوم التوحيد الخالص الذي يتميّز به الإسلام له آثاره البعيدة في النّفس الإنسانية وفي الإيمان به.

ب ـ من جانب آخر فإنّ المدعوّين للحوار لا تتوفّر فيهم شروط الإسلام فضلا عن المحاور المسلم ، كالإسماعيليين والقاديانيين.. ، كذلك فإنّ رجاء جارودي وإن خبر فلسفة الغرب فإنّه يبقى في حاجة ماسّة للتكوين الشرعي ، وذلك لخلطه الكثير في كتاباته ودراساته بين الإسلام والفكر الإسلامي ، إلى جانب استعماله مصطلحات لا تصدق على الإطار العقدي الديني الإسلامي ، بل واعتماده على المحرّف في التّاريخ الإسلامي ، مثل آراء ابن عربي وابن الفارض والسهروردي والحلاّج والسهروردي. ومن ذلك استشهاده بآراء ابن عربي في دعوته لوحدة الأديان:

لقد صار قلبي قابلا كلّ صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحبّ أنّى توجّهت ركائبه فالدّين ديني وإيماني

فهو يعلّق على ذلك بقوله: « إنّ هذا الانفتاح لتقبّل كلّ شيء ، وهذا التقبّل للتدفّق الجديد من كافّة الأديان التي كان ينظر إلى كلّ واحد منها كمرحلة في الملحمة الإنسانية ، في الخلق المستمر للإنسان من قبل الله السّاكن فيه ، إنّ هذا كلّه

يجعل من الإسلام أعظم قوّة للتكامل الرّوحي. ولكي نبقى في إطار الفلسفة: أكره ابن طفيل على الهجرة إلى مرّاكش وأعدم السّهروردي بتهمة الهرطقة ووشى أحد الفقهاء التاميّين المتزمّتين بابن عربي نفسه ، فسجن في القاهرة عام ١٢٠٦م ، وبالكاد أفلت من الموت ، وألقيت الشبهة على مؤلّفاته باسم « المعتقد الصحيح »، وهكذا أصيبت بالفشل الفلسفة التنبّؤية وهي في أوج انطلاقها »[١]. وللتنبيه فإنّ الكتاب الذي أخذت منه الفقرة السّابقة صدر قبل إسلامه كما وضّح هو ذلك في معرض ردّه على مقال لأكرم ضياء العمري[٢] ، فهي خاضعة للنّقد والمراجعة وإعادة الترتيب. إلاّ أنّ الكثير من آرائه حول القضايا الرئيسيّة تبقى محلّ نظر وتحتاج للتدقيق أكثر.

ويختم فصول كتابه السّابق بجملة آراء في حاجة للمراجعة الجادّة والتصويب الدقيق ، ومن ذلك قوله: « بحيث إنّهما اليوم الإسلام والمسيحية إذا لم يعيا معا تاريخهما المشترك ، إذا لم يكونا قادرين على أن يدرك كلّ منهما نفسه بأنّه جزء من الآخر وأنّهما معا جزءان من كلّ ، فإنّ الحوار بين المسيحية والإسلام بين الشّرق والغرب ، لا يمكنه إلاّ أن يكون حوارا بين مريضين ، فالرّسول ﷺ لم يعتبر نفسه مؤسّسا لدين جديد ، وإنّما كباعث ومجدّد عقيدة إبراهيم الأصلية ، ومتمّم لما أسهمت به اليهودية والمسيحية ، إنّه لمن الضّروري إذن التبحّر بهذه الإسهامات المتتالية وإطراح التشوّهات والحثالات الدّاخلية ، معتبرين تلك النبوءات

(١) روجيه جارودي: وعود الإسلام ، ترجمة: ذوقان قرقوط ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، طبعة ١ / ١٩٨٤.

(٢) صدر المقال في مجلّة الأمّة : العدد (٦٤) ، السنة ٦ ، ربيع الآخر ١٤٠٦هـ ، وكان الردّ في نفس المجلّة بالعدد ٦٧، السنة ٦، رجب الفرد ١٤٠٦هـ، آذار / مارس ١٩٨٦، ص٣٤.

السّابقة ، كفترات من النبوءة الكونية ، هذا البحث عن المعرفة في ما وراء أهل الكتاب يتغذّى من جميع حكم العالم « أطلبوا العلم ولو في الصّين » قال الرّسول ، دعونا نفكّر بحلم عظيم ، الحلم بأن نرى الأمم الغربية الكبرى في بداءة الأمر ، الأمم التي لقحت عبقريتها ثقافة الإسلام وعقيدتها ، وقد أنشأت في الأمكنة التي ازدهر فيها الإسلام نفسه ، في « قرطبة » و« باليرم » و« باريس » ، مراكز لقاء وبحث وتكوّن ونشر مكثّف لما في وسع الإسلام اليوم أن يجلب لنا وما في مكنته أن يقول لنا ونقول له »[١].

جـ ـ ومن النّقد الذي وجّه لطبيعة المركز الإسلامي: أنّه لا بدّ وأن يكون قائما على أصول إسلامية ، إلاّ أنّه في الواقع يضمّ خليطا من أهل الكتاب وخاصّة بعض الصهيونيّين ، الذين كانوا يعملون على تحقيق فكرة جامعة البحر الأبيض المتوسّط ، فلمّا فشلت تحوّلت إلى مركز قرطبة[٢]. وللإشارة فإنّ فكرة توحيد الأديان هذه قد تبنّاها « أنور السّادات »[٣] ، وأراد أن يكون مركزها في « سينا » ، وكان أوّل اجتماع لها في مجمع « سانت كاترين » ، حيث وقف المسلم والنصراني واليهودي في صفّ واحد كلّ يعبد الله بحسب تعاليم دينه ، وقد وقفت زوجة السّادات « جيهان » خلفهم .

د ـ إنّ جملة هذه الندوات واللّقاءات تبقى غالبا في إطارها المحدّد مسبقا ، أي لا يسمح لها عادة باختراق حواجز معيّنة ، برغم مساحات الديمقراطية وحرية

(١) نفس المصدر السّابق: ص ١٩٦ وما بعدها .

(٢) خالد القاسم: مصدر سابق ، ص ١٤٥ وما بعدها (بتصرّف) .

(٣) أنور السّادات : رئيس مصري سابق، أغتيل سنة ١٩٨١ إثر توقيعه معاهدة سلام مع الدولة العبرية في فلسطين المحتلّة .

الفكر في الغرب ، لاعتبارها تصادم أحيانا « المصالح العليا » أو المشاريع الكبرى لبعض دول الهيمنة العالمية ، والتي وضعت مؤسّسات مختصّة لرصد الظّاهرة الإسلامية الشعبية والرّسمية على حدّ سواء. فالفكر المادي « براغماتي » نفعي ، لا تحرّكه المبادئ ولا يؤمن بالفكرة الإنسانية الجامعة بقدر إيمانه بذاته ، فالأنا والآخر عنده متصادمان متخاصمان. وأقدّر أنّ أحداثا كثيرة على السّاحة العالمية وخاصّة في المنطقة الإسلامية ، شاهدة على تحيّز السياسية الغربية ، واختلال الضوابط المعيارية. ولعلّ اختراق الكنيسة ، وخاصّة مواقف الكنيسة الإنجيلية الأصولية المتطرّفة من القضايا الإسلامية ، والتأليب الممنهج ضدّ الإسلام ، والتخويف القصدي من خطورة المشروع الإسلامي ، بل خطورة الإحياء الإسلامي الذي عرف طريقه إلى العديد من مناطق الهيمنة الشيوعية السّابقة ، بأوروبا الشرقية والجمهوريّات الإسلامية السوفياتية ، خير دليل.

وعندما قام « بيل غراهام » ، وهو أحد رموز الحركة الإنجيلية الأصولية في الولايات المتّحدة الأمريكية ، بزيارة طشقند في عام ١٩٩٤ ، نظّم له احتفال شعبي في إحدى السّاحات العامّة ، ألقى فيه كلمة تبشيرية نقلت وقائعها التفصيلية على الهواء مباشرة ، أثار ذلك تحفّظ الأورثوذكس والمسلمين ، بل عبّر مطران طشقند الأورثوذكسي عن مخاوفه من تحوّل النّاشئة من الإسلام ومن الأورثوذكسية إلى الإنجيلية ، وخاصّة الإنجيلية الأصولية ، إلاّ أنّ ذلك لم يحرّك ساكنا لدى الدوائر الحكومية التي تسعى لاسترضاء الغرب عامّة ، والولايات المتّحدة خاصّة ، للحصول على الدّعم المعنوي والاقتصادي. ويتوافق ذلك مع ما يعتقده الغربيّون من أنّهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ، وأنّ من واجبهم أن يفرضوها

على الآخرين بحجّة أنّ هؤلاء غير متحضّرين وجاهلين. ويؤكّد جارودي أنّ المسيحية كانت، بالنّسبة للغرب، الحقيقة المطلقة فاستخدموها لاحتلال العالم، ثمّ وجدوا الحقيقة المطلقة في العلم فاستخدموا التقدّم العلمي وسيلة لفرض سيادتهم على العالم، والآن يضعون الحقيقة المطلقة في إطار الحداثة والتطوّر لمواصلة تبريراتهم السّابقة بإلغاء الآخر واحتوائه وتدجينه [١].

الإسلاميون والمشروع الإبراهيمي:

يميل التيّار الإسلامي الذي يعتبر شريكا حيويا في الدّعوة الإبراهيميّة، إلى تقديم هذا المشروع من منطلقات تاريخية، ويحاول الاستفادة كذلك من القواسم المشتركة الأصلية «إبراهيم أب الأنبياء»، إلى جانب قراءة رحلة سيّدنا إبراهيم عليه السّلام بعائلته وتوظيفها في نفس الإطار. «لذلك يجب أن يقرأ التّوحيد ما قبل إبراهيم وما بعده على ضوء الخبرات الإبراهيمية: التكامل الرّوحي والأمني والغذائي للمنطقة، فسيّدنا إبراهيم كان يبحث عن الأمن والسّلام في ظلّ التّوحيد بعيدا عن الاضطهاد، سواء اضطهاد النّمرود أو من جاء بعده» [٢].

ويرى حسن مكّي: «أن يقدّم المشروع الإبراهيمي في هذه المرحلة للمنطقة الإسلامية فقط، باعتبارنا لا نستطيع المحاورة بهذا المشروع ما لم نطبّقه عمليّا بيننا، وفي المرحلة الثّانية يعمل على إبرازه والمحاورة به، باعتماد النّسخة

---

(١) محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس، بيروت، طبعة ١/ ١٩٩٨، ص ٨٥ وما بعدها (بتصرّف).

(٢) حسن مكي: باحث سوداني مختصّ في الشؤون الإفريقية، مقابلة شخصية مع الباحث: الخرطوم ٩ يوليو ١٩٩٥.

الإسلامية ، والنّسخة اليهودية المسيحية المعدّلة. فهو بحث عن أوجه العلاقة بين هذه التجارب المختلفة ، ويقدّم هذا المشروع في شكل أطر مختلفة ، في إطار دعوة عامّة ، إذ هو قائم على « لا تفضلوني على الأنبياء »[١] ، وفي إطار التعايش. ولكن كيف للمشروع الإبراهيمي القرآني أن يتعايش مع النّسخ الأخرى للمشاريع الإبراهيمية؟ كلّ ذلك يتمّ في إطار ترسيخ مبدأ: أنّنا دعاة تعايش ، دعاة سلام. أمّا عن الأفق الثّالث للمشروع الإبراهيمي فهو أن يقدّم في إطار الدّهرية والمادية التي تكتنف العالم ؛ لأنّنا نحتاج إلى التعايش والسّلام ، حتّى نستطيع أن نخلق فرص حوار بين الدّهرية والإبراهيمية » .

كما أنّه لا توجد مواصفات معيّنة تحدّد طبيعة من يمثّل صوت الإسلام ، لاعتبار أنّ كلّ من يدعو للإسلام فهو يمثّل الإسلام ؛ حتّى وإن كان إسماعيلي باطني أو قادياني كافر ، ففي هذه المرحلة تترك كلّ الفصائل الإسلامية تتحرّك بالمشروع الإبراهيمي لاعتبارنا في حاجة لجبهة عريضة من الموحّدين ، ثمّ إنّنا وإن حاولنا إخراجهم فلن نقدر في هذا الظّرف ، لذلك نحن ندعوه حوار حضاري لا عقائدي ، خاصّة وأنّ الإسلام الآن يعيش نفس واقع الفترة المكّية ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢] ، إذ لسنا في مرحلة إملاء الشّروط ، وإنّما نحاول الاستفادة من جوّ التسامح ، والتعايش والحوار ، وأنّ موقف المساندة للدّعوة الإبراهيمية بتوجّهها الحالي هو موقف مرحلي لا استراتيجي ، وأنّه يأتي يوم ونختار فيه

(١) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، طبعة ٣ / ١٩٧٩، ١ / ١ / ١٧١: ذكر ثناء الله ورسوله الكريم على عبده خليله إبراهيم.

(٢) سورة النساء : ٧٧.

منهجية ثانية ، لاعتبارها اليوم قائمة على المبادئ العامّة لحقوق الإنسان ، التي ليس في وسعنا اليوم إلاّ أن نقبل بها على صورتها التي أريد الترويج لها ، ومن ناحية أخرى فإنّ الأحداث العالمية تفرض علينا الاستفادة من أهل الكتاب ، بل والاستفادة من كلّ أهل المعتقدات والديانات والأيديولوجيات ؛ لأنّنا لسنا في موقف عطاء حضاري ، بل في موقف الآخذ ، فالورق والقلم من أهل الكتاب ، بل هم الذين يحدّدون السياسة وأسعار العملات ومصائر الشّعوب ، نحن لا نمتلك الآن إلاّ أن نعيش في رحم الحضارة المعاشة ، ولا يمكن أن نخرج لأنّنا نموت ، ولكن نحاول أن نتشكّل في هذا الرّحم على طريقتنا وخصائصنا وأفكارنا ، أمّا ما يمكن أن نطرحه على مستوى المشاريع والضوابط ، فإنّه يتمثّل في :

أ ـ نحتاج إلى ترسيخ مبدأ حقوق الإنسان: فهذه الصّفة نطلبها ونؤكّد عليها ؛ لأنّ الأقلّيات المسلمة كلّها مضطهدة ، والحركات الإسلامية بدورها محاربة ومطاردة ، فهذه الصّفة تناسبنا من باب ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [1] ، لا إكراه في الفكر ، حقّ التنظّم والمشاركة ؛ لذلك يلزم تبنّي هذه القيم والدّفاع عنها.

ب ـ يجب أن لا تُفهم حقوق الإنسان في ضوء فلسفة معيّنة أو فقه معيّن ، كإلزامية الحريّة الجنسيّة مثلا ، كذلك فكرة حريّة المرأة يجب أن لا تنجر عنها فكرة إلغاء العائلة ، فالأفكار حول حقوق الإنسان يجب أن تكون فيما هو مشترك وفيما هو إنساني ، ويجب أن لا نسعى لفرض نمط إنساني معيّن .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٦.

جـ ـ انتفاء الإلزامية والقوّة: لأنّ أيّ مشروع ثقافي تجديدي ، يقوم على الحوار والقبول الحرّ ، لا أن تفتح أبوابك للإرساليّات التبشيرية لتعميد الأطفال. فبحسب حقوق الإنسان وما هو متعارف عليه ، ينشأ الابن حتّى سنّ الرّشد على ديانة والديه ، وأيّ محاولة لخطفه عن دينه أو ثقافته إنّما هو تنكّر لهذه الحقوق والأعراف والمواثيق الدّولية ؛ لذلك يجب أن نعرّف الإبراهيمي بأنّه متسامح ، يؤمن بالتعدّد ، والحوار حول القواسم المشتركة ، لكنّه ليس مشروعا يقدّم تنازلا عن مسؤوليّات الأمّ تجاه أطفالها ، أو مسؤوليّات الأمّة تجاه رعاياها.

لذلك يجب أن نحرص على هذا التعايش ونؤكّد على قيمه ، كما يجب أن نفرّق بين المشروع التنصيري والمشروع الإبراهيمي ؛ وأعتقد أن نقوم كلّنا في السّودان بدعوة المسيحيّين والمسلمين وأهل الملل الأخرى بأن يدعوا لقيام هذا المشروع ، وأعتقد أنّه لازم أن يقوم على حزب إبراهيمي ، لأنّ تجربة المؤتمرات ستظلّ معلّقة لو لم تركّز على حزب ، ومن هنا فإنّني أدعو إلى قيام الحزب الإبراهيمي ليقود النّهضة ويشرف على حركة المؤتمرات ، وأيضا كجزء من المشروع الإسلامي وأحد مكوّناته. كما أنّه يوجد فرق بين المشروع الإبراهيمي والمشروع التنصيري ، فالمشروع التنصيري الحديث في السّودان هو مشروع قام على الإكراه والبطش الأوروبي ، والمشروع الإبراهيمي قائم على التحاور والبحث على الأصلح »[1] .

*****

(١) حسن مكّي محمّد أحمد: ندوة الملتقى « رؤية تاريخية للسّودان » ، مجلّة الملتقى: العدد (٦٤) السّنة الثّالثة ، ١٦ ـ ٣١ أكتوبر ١٩٩٢ ص ١١.